حفظ العلم من يفسده ويستضر به اولى كما قيل ومن منح الجهال علما اضاعه وقد
حكي عن بعض الامم السالفة انهم كانوا يختبرون المتعلم مدة في اخلاقه فان وجدوا
فيه خلقا رديا منعوه العلم اشد المنع وقالوا انه يستعين بالعلم على مقتضى الخلق
الردي فيصير العلم آلة شر في حقه وقد قالت الحكما زيادة العلم في الرجل السوء كزيادة
الماء في اصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة وهذا كله صحيح مجرب فينبغي
للعالم ان يهمله بل يراعيه وتمثيله ولا اعتبار بما يتوهمه في تعليمهم من وجود
المصالح على تقدير حصول توفيق الله تعالى لهولاء ان يعلموا ببعض ما يتعلمونه من العلم
الصحيح ان كان لهم ولايه علم او غير ذلك فان المفاسد التي تقع بسبب ذلك لهم في
خاصة انفسهم والمفاسد التي تتعدا منهم الى غيرهم اكثر وارد المفاسد اهم عند العقلا
من جلب المصالح اما المفاسد التي تختص بهم فهي تقوية صفاتهم الذميمة واخلاقهم اللئيمة
مما يطلبونه من العلم لانهم يستشعرون بذلك التوصل الى جميع مطالبهم الدنياويه على غاية
التمام والكمال فاذا استشعروا ذلك توجهوا بهممهم اليه وعكفوا بالجد والاجتهاد عليه
ولولا هذا الاستشعار لم ينصرفوا ...... فاذا حصلوا على شي من ذلك وظهرت لهم مخايل
وصولهم الى اعراضهم المذكورة فرحوا بذلك واغتبطوا به كلما ازدادوا علما ازدادوا فرحا
واغتباطا لما هم فيه وهذا الفرح والاغتباط في غاية الذم مسهول لان ذلك متعلق باسباب الدنيا
وهو بمنزلة السم القاتل الذي يوجب عمى قلوبهم وقسوتها وبعدها عن التأثر بالمواعظ
والحكم كما قيل اذا قسي القلب لم تنفعه موعظة كالارض ان سبخت لم ينفع المطر
وعند ذلك تنتعش نفوسهم وتقوى شهواتها وتظهر اثار ذلك على ظواهرهم من التكالب
على الدنيا والركون الى ما هي عنده من اسبابها التوقي وليس لهم ما يتوسلون به اليهم
سوى علمهم فيحتاجون على تحصيل اقبالهم عليهم وصرف وجوههم اليهم والتنفق عندهم
بانواع من الحيل ولا يسلمون في ذلك من الريا والتصنع والنفاق والدهان وجرهم ذلك الى انواع
من المحظورات وضروب من العصيان مع ما يحصل لهم في ذلك من الذل والهوان فاذا نالوا
ذلك او بعضه حصل لهم مقصود نفوسهم وتمكنوا من جميع حظوظهم فحوجوا من الحريه
الى استعباد الاغنيا واستبدلوا بالجهل العلم النافع العلم الضار وقد قال
الفضل ابن عياض رضي الله عنه لو ان اهل العلم اكرموا نفوسهم وشحوا على دينهم واعزوا
العلم وصانوه وانزلوه حيث انزله الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقادت لهم الناس
وكانوا لهم تبعا وعز الاسلام واهله ولكنهم اذلوا انفوسهم ولم يبالوا بما نقص من دينهم
اذ سلمت لهم دنياهم فبذلوا علمهم لابنا الدنيا ليصيبوا بذلك ما في ايدي الناس فذلوا وهانوا
على الناس انتهى

انتهى ولله در الشاعر حيث يقول

يقولون لي فيك انقباض وانما ... راوا رجلا عن موقف الذل احجما
اذا قيل هذا مورد قلت قد ارى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما
وما كل برق لاح لي يستفزني ... ولا كل اهل الارض ارضاه منعما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي ... لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
الغرسه عزا واجنيه ذلة ... اذا فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما

وقال وهب ابن منبه لعطا الخراساني كان العلما قبلنا
قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم وكانوا لا يلتفتون الى دنيا غيرهم وكان اهل الدنيا
يبذلون لهم دنياهم رغبة في علمهم فاصبح اهل العلم فينا اليوم يبذلون لاهل الدنيا
علمهم رغبة في دنياهم فاصبح اهل الدنيا قد زهدوا في علمهم لما راوا من سوء موضعه
عندهم وقال ذو النون المصري رضي الله عنه كان الرجل من اهل العلم يزداد بعلمه
بغضا للدنيا وتركا لها فاليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حبا ولها طلبا وكان الرجل
ينفق ماله على علمه ويكسب الرجل اليوم بعلمه مالا وكان يرى على طالب العلم زيادة في
باطنه وظاهره فاليوم يرى على كثير من اهل العلم فسادا في الظاهر والباطن فانظر رحمك
الله الى ما ذكره هولا الفضلا تجده لازما لطلبة هذا الزمان وليس الخبر كالعيان ثم بعد
وقوع هذه المفاسد بهم وتوغلهم بها في سوادهم يتعذر عليهم سلوك طريق الحق
لما استحكم في قلوبهم من علامات الخلق فقد قيل التعمق في الباطل قطع لاماك الرجوع
عنه فكلما كان من المسافة من الحق ثم كان الياس من الرجعة اوجب
واعظم الوبال عليهم واغترارهم بحالهم واستحسانهم لنشي اعمالهم واعتقادهم
انهم سالكون سبيل النجاة في الدار الاخرة ونيل الثواب فيها وانهم هم الذين حازوا
الرتب الشريفة والمناقب المنيفة التي خص بها العلما الذين هم ورثة الانبيا
وليس عندهم من المعرفة وعلوم التحقيق ما يخرجون به من هذا الغرور لانهم
لم يسلكوا طريق ذلك ولم يهتدوا لما هنالك فهذا هو الفساد الذي يختص بهم ولا
يشاركون غيرهم فيه واما المفاسد التي تتعدا الى غيرهم فظاهر من كل ظاهر وكل
من ملكته نفسه اشتغلوا باستعبادهم ثم استعبادهم يبقى عليه شي
من الشر ونوع من انواع الفساد الا ويقع فيه اذا تمكن منه ومن دقيق ما
يسري عنهم من الفساد من غير قصد منهم كذلك وقوع الاغترار بالجهلة والاغنيا
بمشاهدة حالهم فانهم يشاهدونهم قد حازوا من زينة الدنيا ما ارادوه ويتوجهوب

Copyright King Saud University